الملتقى الوطني : استشراق الفرنسي في الجزائر، تاريخه، أعلامه و تأثيراته

يومي 01-02 مارس 2022 جامعة باتنة 1

مداخلة بعنوان: المباحث التي حرّرها المستشرقون الفرنسيون حول تاريخ الجزائر وأعلامه في الموسوعة الاستشراقية –توصيف ونقد–

من إعداد الدكتور محمد بن قيدة
bekaidamohamed@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة.

- **مقدمة:** بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

من أبرز الأعمال التي قدّمها المستشرقون في العصر الحديث؛ إنشاؤهم لموسوعة "دائرة المعارف الإسلامية"، التي ألّفها مجموعة من المستشرقين باللغات الأجنبية، ثم ترجمت إلى العربية، وهي موسوعة تعرّف بالتراث الإسلامي والبلدان العربية والإسلامية، ومن تلكم البلدان: "الجزائر"؛ التي كانت آنذاك في مرحلة الاستعمار الفرنسي، **وميزة** ما جاء في **موسوعة** "دائرة المعارف الإسلامية": أنّ **المستشرقين الفرنسيين تكفلوا بتحرير أغلب المواد الخاصة بتاريخ الجزائر وتراثها** وأعلامها، ومنهم مستشرقون مشهورون كالمستشرق "بروفنسال": الذي وُلد في الجزائر، ودرّسوا في جامعاتها آنذاك وغيره.

يهدف هذا الموضوع إلى: جمع ما تفرق من المواد الخاصة بتاريخ الجزائر وأعلامها في هذه الموسوعة الاستشراقية؛ لأنّ هذه المباحث متفرقة بين مجلدات الموسوعة المرتبة على حروف المعجم؛ بغرض معرفة مجمل دراساتهم وآرائهم في هذا الموضوع ضمن الموسوعة.

بالإضافة إلى التعرف على المستشرقين الفرنسيين الذين تخصّصوا بالكتابة في تراث الجزائر وإفريقيا عامة.

كما يقصد إلى: وصف ونقد المادة العلمية والأدبية الواردة في الموسوعة إجمالا، مع تقديم نماذج تفصيلية توضّح الصورة التي تقدّمها الموسوعة الاستشراقية عن تاريخ الجزائر القديم والحديث، وجغرافيتها وأعلامها من العلماء والأعيان وما إلى ذلك.

وقد قسمت هذا الموضوع إلى **أربعة فروع** أساسية أفتحتها بتعريف وجيز عن "الموسوعة"، وهي كالآتي:

- **تمهيد: في التعريف بـــ"دائرة المعارف الإسلامية".**
- **الفرع الأول: التعريف بالمستشرقين الفرنسيين الذين حرروا موادا حول الجزائر في الموسوعة.**
- **الفرع الثاني: ما جاء في الموسوعة حول تاريخ الجزائر القديم والحديث.**
- **الفرع الثالث: ما جاء فيها حول الأعلام الجزائريين.**
- **الفرع الرابع: ما جاء فيها حول مدن الجزائر وأقاليمها.**

- **تمهيد: في: التعريف بـــ"دائرة المعارف الإسلامية"**[1]: وهي "**الموسوعة الاستشراقية**": المترجمة بعنوان: "دائرة المعارف الإسلامية"، والمسماة بالإنجليزية: "The Encyclopidia of Islam".
- وهي موسوعة شاملة عن التراث الإسلامي ألّفها مجموعة من المستشرقين [يزيدون على المائة]؛ وهي مرتبة على حروف المعجم على شكل **مواد؛ مثل:** مادة "صلاة"، "عمر"، "الجزائر"...
- تعتبر الموسوعة من أهمّ الأعمال التي أنجزها المستشرقون الغربيون في العصر الحديث، هدفها جَمْع ما تفرق من دراسات المستشرقين في مجال المعارف الإسلامية، ونُشرت – هذه الموسوعة – **باللغات الأجنبية** الأوربية [الإنجليزية–الفرنسية–الألمانية] ابتداء من سنة (1913م إلى 1942م)، وآخر إصدار (2007م).
- و**تُرجمت** إلى **العربية** من سنة (1933م)، وآخر إصدار كان سنة (1998م).
- وقد تنوعت في مواضيعها إلى مباحث: شرعية وفقهية، وأخرى لغوية، وكذلك تناولت جوانب تاريخية وجغرافية هامة حول البلدان العربية والإسلامية...

الفرع الأول: التعريف بالمستشرقين الفرنسيين الذين حرروا موادا حول الجزائر

بعد أن قمت بتتبع واستقراء المواد التي تتحدث عن تاريخ الجزائر وأعلامها في موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية" التي ألفها المستشرقون؛ وقفت على نصوص كثيرة ضمن هذا الموضوع في أكثر من ثلاثين (30) مادة مبثوثة بين (32) مجلدا: حسب الترجمة العربية الصادرة بمركز "الشارقة" سنة (1998م).

ولَمّا تَميّزت موسوعة "دائرة المعارف" بالعمل الجماعي في تحريرها، تعدّد كاتبو تلك المواد؛ وبلغ عدد الذين كتبوا مواداً حول الجزائر إلى أكثر من اثني عشر كاتبا، منهم المستشرقون الفرنسيون وهم الأكثر، وقلة منهم: غير فرنسيين من المستشرقين، أو بعض الكتاب الشّرقيين، وقبل الشروع في بيان المباحث التي حرّروها حول الجزائر في الموسوعة بالتفصيل، أقدم هنا أسماءهم مع تعريف موجز بكلّ منهم:

[1] عرّفت "بدائرة المعارف الإسلامية" بشكل موسّع في رسالتي للدكتوراه الموسومة بـــ: مباحث السيرة النبوية في "دائرة المعارف الإسلامية" – دراسة تحليلية نقدية–، ص31 وما بعدها.

1- "يفر-G .Yver": (1870-1961م): مستشرق فرنسي، كان من أساتذة كلية الآداب في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، من كتاباته ومؤلفاته: "عرض تاريخي لإفريقيا في العصرين الوسيط والمعاصر"، و"الهجرة الأجنبية إلى الجزائر"، وصنف بمعاونة البرتيني، ووليم مارسيه كتابًا بعنوان: "شمالي إفريقيا الفرنسي في التاريخ"[1].

= تَخصَّص هذا المستشرق في تحرير المواد المتعلقة بالشمال الإفريقي والجزائر، وقد حرّر موادا في تاريخ الجزائر وأقاليمها وأعلامها، كمواد: "**الجزائر**"، "**أدرار**"، و"بجاية"، "**بنو حفص**"، و"**حسن بابا**" وغيرها.

= والملاحظ أنّ هذا المستشرق هو أكثر المستشرقين الفرنسيين كتابة عن الجزائر وتاريخها في "الموسوعة الاستشراقية".

2- "**ألفرد بيل**" "Bel، A" (1873-1945م): مستشرق فرنسي، كان مديراً لمدرسة تلمسان، حيث درس تاريخها وجغرافيتها وآثارها، وله دراسات وكتابات عديدة حول الشمال الإفريقي[2].

= حرّر مادة "**بنو زيان**" من الأسر المتعاقبة على حكم الجزائر قديما كما سيأتي.

3- "**كور**" "A.Cour": متوفى سنة (1945م): مستشرق فرنسي، عُيّن أستاذاً للعربية في قسنطينة إبان الاستعمار الفرنسي، له عدّة مؤلفات، منها: "شاعريّة ابن زيدون الأندلسي"، و"قسنطينة عام (1802م)"[3].

حرّر مادة "**أبو زيان**" الأول والثاني والثالث: من حكام الجزائر في القديم.

4- المستشرق "**مارسيه**" جورج "G. Marcy": (1905-1946م): مستشرق فرنسي له عدة دراسات[4].

= كتب هذا المستشرق عدّة مواد حول تاريخ الجزائر وقبائلها، منها مواد: "**بنو رستم**"، "**بنو زيري**"، "**صنهاجة**"، وبنو "**رياح**".

5- "**ديسبوا**" "Despois، J": (1865-1947م): مستشرق فرنسي، كان أستاذا بكلية الآداب في الجزائر زمن الاستعمار الفرنسي، له عدة مؤلفات ودراسات[5].

= كتب تتمة على مادة "**الجزائر**".

6- "**كارادە فو**": "B .Carra de vaux" (1867- 1953م): مستشرق فرنسي، عُين أستاذا في المعهد الكاثوليكي في باريس للغات الشرقية والعربية، من مؤلفاته: "عقيدة الإسلام"، "العبقريات السامية"، وغيرها[6].

حرّر مادة "**زناتة**" من القبائل المنتشرة في الجزائر.

---

[1] ينظر: المستشرقون، العقيقي، 310/1.

[2] ينظر: المصدر السابق، 256/1.

[3] ينظر: المصدر نفسه، 275/1. والأعـــلام، الزركلي، 34/2-35.

[4] ينظر: المستشرقون، العقيقي، 261/1.

[5] ينظر: المصدر نفسه، 261/1.

[6] ينظر: المصدر نفسه، 263/1. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص462.

7- "**ليفي بروفنسال**": "Provençal" (1894- 1956م): مستشرق فرنسي يهودي، **ولد** في **الجزائر** و**تخرج** من كلية الآداب فيها، عيّن أستاذاً بمعهد الدراسات العليا بالرباط، ثم مديراً له، كلفته حكومته بمهام بين لندن والقاهرة والقدس ودمشق[1].

حرّر عدة مواد في تاريخ الجزائر وأعلامها، منها مواد: "**الونشريسي**"، "**شرفا**"، "**الزاوية**".

8- المستشرق الفرنسي "**لو تورنو**" "Le Tourneau" (1907-1971م): من أساتذة جامعة مرسيليا[2].

= تكلم هذا المستشرق عن شيء من تاريخ الجزائر أثناء الاستعمار في مادة "**حكومة**".

9- المستشرق الفرنسي "**إمريت**" "M . Emerit": (1899-1985م): له تتمة لِمادة "الجزائر".

10- المستشرق الفرنسي "**كوتارت**"[3]: أشار إلى انتشار المذهب المالكي في الجزائر وغيرها في مادة: "**المالكية**".

***** كما أنّ هناك **مستشرقين غير فرنسيين وكتّاب عرب آخرون كتبوا عن الجزائر في الموسوعة:**

- مثل: المستشرق **الألماني بروكلمان**[4]: حرّر موادا حول أعلام جزائريين: كمادة "**الأخضري**"، و"**الثعالبي**".

- **المؤرخ الجزائري** محمد **ابن شنب**[5]: **حرّر** مواداً **يسيرة** حول أعلام الجزائر في "الموسوعة": كمادة "**ابن معطي**"، و"**السنوسي**".

▪ **تنبيه**: مع أنّ الأستاذ "**ابن شنب**" الجزائري حرّر موادا كثيرة في الموسوعة، مثل مواد: ابن الحاجب، الداني، الذهبي، السبتي وغيرها، إلاّ أنّ الموادّ التي لها صلة مباشرة بتاريخ الجزائر وأعلامها، فلم يُسند له تحرير إلاّ النّزر اليسير منها.

وهنا يظهر التحيّز الواضح في هذه الموسوعة، فهم وإن حاولوا أن يظهروا للقارئ أنّهم يفتحون جسر التواصل الثقافي بين الشرق والغرب في الموسوعة، من خلال إشراك كتاب عرب وأتراك فيها كابن شنب وغيره إلاّ أنهم في الحقيقة يستأثرون بالمواد الأكثر أهمية في القضايا الشرقية الكبرى.

وعلى كلّ فإنّ موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية" هي لسان حال المستشرقين الأوربيين، وخلاصة آرائهم حول العالم العربي والإسلامي وتاريخه وتراثه.

---

[1] ينظر: المستشرقون، 275/1. والأعـــلام، الزركلي، 34/2-35.

[2] ينظر: المستشرقون، 311/1.

[3] **يكول كوتارت**: مستشرق فرنسي ينتسب إلى جامعة باريس كما في "دائرة المعارف" باللغة الإنجليزية.

ينظر: The Encyclopidia of Islam, by orientalists, 5/6.

[4] **كارل بروكلمان** "Carl Brockelman" (1868- 1956م): مستشرق ألماني، عُيّن أستاذا في عدّة جامعات، منها: جامعة كنبرج، وبرلين، وبرلين، له مؤلفاته أشهرها: "تاريخ الأدب العربي". ينظر: المستشرقون، العقيقي، 777/2. موسوعة المستشرقين، بدوي، ص98-105.

[5] **محمد بن العربي بن أبي شنب** (متوفى: 1929م): ولد بمدينة المدية (بالجزائر)، كان يحسن الفرنسية والألمانية وغيرهما، منحته الجامعة الجزائرية لقب لقب (دكتور) في الآداب، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، وأكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس، له مؤلفاته بالعربية والفرنسية، منها: "تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب"، و"أبو دلامة وشعره". ينظر: الأعلام، الزركلي، 266/6. معجم المؤلفين، عمر كحالة، 189/10.

الفرع الثاني: ما جاء في الموسوعة حول تاريخ الجزائر القديم والحديث

أولا- تاريخ الجزائر ومراحله في مادة "الجزائر": أشرف على تحرير مادة "الجزائر" مجموعة من المستشرقين الفرنسيين، بحيث يقدّم كل واحد منهم تتمة وإضافة على سابقه ويكتب اسم كلّ كاتب منهم في آخر النص الذي حرّره، ويمكن اعتبار هذه المادة أطول المواد -التي وقفت عليها- في الموسوعة الاستشراقية: "دائرة المعارف الإسلامية" حيث بلغت (138) صفحة[1] بما في ذلك ثبت المراجع.

وهذا بيان ما كتبه كلّ منهم حول تاريخ الجزائر في هذه المادة:

[1]- عقد المستشرق "**يَفر**-Yver" في مادة "**الجزائر**" عنصرا للتعريف بتاريخ الجزائر، ذكر فيه:

- الفتح الإسلامي للجزائر في القرن الأول الهجري.
- وأشار إلى بعض المناوشات الحربية وقيام الدولة الرستمية ثم الفاطمية في القرنين الثاني والثالث للهجرة.
- وذكر مملكة زيري وابنه بُلُكين التابعة للفاطميين في الجزائر، ثم استقلال بعض ملوكها عن الفاطميين.
- كما تحدّث عن الدولة الحمادية ومناطق نفوذها.
- ثم تحدّث عن الزحف الهلالي في الجزائر والمغرب.
- ثم ذكر قيام دولة المرابطين بالجزائر، ثم سيطرة دولة الموحدين بعدها على زمام الأمور في أواسط القرن السادس (ق: 6 هـ).
- وعرّج إلى قيام الدولة الحفصية في القرن السابع (ق: 7 هـ)، ثم بعدها دولة الزيانيين.
- وذكر بأن مرحلة القرن الثامن الهجري (ق: 8 هـ) سادها عدم الاستقرار في الجزائر والتناحر المستمر بين الدويلات لحكمها.
- وأشار إلى الغزو الإسباني لسواحل الجزائر في القرن (16م).
- ثم عرّج إلى قيام القوة البحرية الجزائرية في القرن (16م) بقيادة الأخوين عروج وخير الدين بالتصدّي لهجمات الاسبان.
- وقسّم فترة حكام الجزائر العثمانيين إلى مراحل من القرن (16م) إلى غاية الاستعمار (ق: 19م).
- وذكر الأقاليم (أو الولايات) الثلاثة للجزائر قبيل الاستعمار.

---

[1] هذا في الطبعة العربية (الشارقة: 1998م) التي اعتمدت على الإصدار القديم (1933م) للموسوعة إبان الاستعمار، أما الطبعة الإنجليزية الجديدة سنة (1991م)، فقدت عُدّلت المادة وقلّصت إلى 3 صفحات من الحجم الكبير المضغوط (ما يعادل حوالي: 7 صفحات حجم متوسط)، ينظر: The Encyclopidia of Islam, by orientalists, 2/519-522.

- كما قدّم "**يفر**" ههنا حقيقة تاريخية وهي: أنّ إنجلترا عارضت حملة فرنسا على الجزائر، بينما لم تأبه فرنسا بهذا الاعتراض، وهو ما ذكره أيضا زميله المستشرق "**إمريت**" في موضع آخر[1].
- أمّا عن **سبب الاستعمار** الفرنسي للجزائر فإنّه يرجعه إلى أمرين:

– **الأول:** القضاء على ما يسميه بالقرصنة البحرية التي تمارسها البحرية الجزائرية.

– **والثاني:** معاقبة الداي حسين على إهانة القنصل[2].

وهما السببان اللذان اعتمدهما المستشرق الفرنسي "**إمريت**" في موضع آخر من تتمة مادة "الجزائر" في الموسوعة[3].

* لكن هذه الأسباب لم تكن في الحقيقة إلاّ ذريعة تذرّع بها الاستعمار الفرنسي للعدوان على الأراضي الجزائرية، حيث كانت هناك أسباب خفية أخرى داخلية وخارجية، كرفض فرنسا تسديد ديونها الطائلة للجزائر، مع أنّ حكومة الجزائر آنذاك ساندت فرنسا بقروض كبيرة أثناء فاقتها وحاجتها، فكان الجزاء جزاء سنمّار، كما كانت هناك نوايا لتنصير الجزائر، وتوظيف الحملة في الدعاية الانتخابية للملك الفرنسي وغيرها[4].

° **تعقيبات على ما ذكره "يفر" في مادة "الجزائر":**

– الملاحظ أنّ المستشرق حاول تشويه مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي قدر الإمكان؛ فوسمها بالفساد، وتغليب الأطماع الذاتية على مصلحة عامة الشعب، ووصفها باختلال الأمن وانتشار الفوضى، وظهور الصراعات الداخلية، بل وكثرة السلب والنهب.

لكن هذه الأمور وإن كانت موجودة آنذاك في الجزائر وفرنسا على السواء[5]، فإنّ المستشرق عرضها بأسلوب مبالغ فيه نوعا ما؛ ولعلّه يريد أن يوعز للقارئ أنّ الاستعمار الفرنسي احتل الجزائر ليشيع فيها أجواء السلام والاستقرار والنظام بعد تلك الفوضى والاضطرابات!

ولهذا فهو في الأخير **يصف الاستعمار** الفرنسي للجزائر **بالفتح**، حيث يقول: «وكان فتح الجزائر والقضاء على الدولة التركية من عمل فرنسا»[6].

– كما وصف –غير مرة– النشاط العسكري للحربية البحرية آنذاك بالقرصنة التي كانت مصدر ثراء لأهل الجزائر.

---

[1] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 2834/9 و2878.

[2] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 2816/9-2837.

[3] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 2878/9.

[4] تفاصيل هذه الأسباب بالأدلة والشواهد في: شخصية الجزائر الدولية قبل 1830م، مولود نايت بلقاسم، 197/2-202.

[5] بل إنّ المؤرخ الجزائري "مولود نايت بلقاسم" يورد شواهد من كتابات الفرنسيين أنفسهم على بساطة عيش حملة من أمراء الجزائر وحكامها قبل الاستعمار؛ ينظر: شخصية الجزائر الدولية قبل 1830، 298/2-306.

[6] دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 2834/9.

هذا النشاط الذي يسميه المؤرخ الجزائري "مولود نايت بلقاسم": "بالجهاد البحري" كان المقصد الأساسي منه حماية المياه والشواطئ الجزائرية من الحملات الإسبانية وغيرها في بدايته، ثم تطوّر ليساهم في تنظيم البحر الأبيض المتوسط وحماية السفن الأوربية والأمريكية مقابل ضرائب تدفعها للدولة الجزائرية[1].

أضف إلى ذلك أنّ **القرصنة** البحرية **الفرنسية** أيضا كانت محلّ دعم من الحكومة الفرنسية، ولك أن تراجع الشواهد والأدلة التي أوردها "مولود نايت بلقاسم" على ذلك من كتابات الفرنسيين أنفسهم[2].

– ويمكن أن نلاحظ أنّ المستشرق الفرنسي "**يفر**" كان يتحدث عن توغل فرنسا في الأراضي الجزائرية –لا بلسان المؤرخ– بلهجة تشعر بنشوة الانتصار؛ كقوله مثلا: «ثُمّ **فُتحت** بلاد القبائل»، وكقوله: «**ودان** بدو الصحراء في الجنوب **بالطاعة** للفرنسيين»[3].

[2]– ثم قدم المستشرق "**ديسبوا**" تتمة على مادة "**الجزائر**": أضاف فيها معلومات أخرى حول ذكر جغرافية الجزائر وتضاريسها ومناخها[4].

كما قدم إحصائيات هامة حول عدد السكان إبان الاستعمار في النصف الأول من القرن العشرين، من الجزائريين والمعمرين، وكذا الجانب الاقتصادي والصناعات المعدنية والمحاصيل الزراعية في تلك الحقبة[5].

[3]– أما تتمة المستشرق "**مارسيه**" على مادة "**الجزائر**": فقدم فيها إضافات حول: تاريخ الجزائر في القرن السادس عشر (ق: 16م)؛ الذي يعتبره محوريا في رسم حدود الخارطة الجزائرية الحديثة.

- كما تحدث بإيجاز عن الفتح الإسلامي، والدول التي قامت في الجزائر من القرن الثالث إلى غاية قيام الحكم العثماني في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي والخامس الهجري.
- ووافق "**يَفَر**" في وصف النشاط العسكري للبحرية الجزائرية إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر بالقرصنة: التي «زودت سلطنة الجزائر بموارد هامة» حسب تعبيره[6].
- وكذلك وافقهما المستشرق "كولومب" صاحب التتمة الموالية لمادة " **الجزائر**".

[4]– أمّا المستشرق "**إمريت**" فقد تعرض في تتمته على مادة "**الجزائر**": لتاريخ الجزائر بعد (1830م): أي بعد الاستعمار الفرنسي.

وحاول أن يظهر للقارئ بأنّ السلطة الفرنسية للجزائر عملت على تحسين أوضاع الجزائريين اقتصاديا واجتماعيا، وتقديم حقوق وامتيازات سياسية لهم خاصة بعد مشاركة جزائريين مع القوات الفرنسية في حروبها ضد ألمانيا وغيرها في الحرب العالمية الثانية بين (1939–1945م) [1].

---

[1] ينظر: شخصية الجزائر الدولية قبل 1830، لمولود نايت بلقاسم، 1/71–78 وص80–82.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 1/75–76 وص84.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 9/2836.

[4] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 9/2862–2868.

[5] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 9/2883 إلى: 10/2902.

[6] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 9/2871.

ثانيا- تاريخ الجزائر ومراحله في مواد أخرى:

1)- الدول المتعاقبة في حكم الجزائر: لَخّصتُها من مواد متفرقة في "دائرة المعارف" مع الإشارة إلى مادة "الجزائر" أحيانا، وقد رتبتها على حسب تواريخها كما يلي:

[أ]- في القرن (2 هـ/8م- إلى 3 هـ/10م):

- **الدولة الرستمية**[2]: ورد ذكر هذه الدولة في عدة مواد: كمادة "بنو رستم" و"الجزائر" وغيرهما: وهي الدولة التي أسّسها **عبد الرحمن بن رستم** في "تيهرت" تيارت حاليا، تبنت المذهب الإباضي وامتد حكمها في أراضي واسعة من الجزائر بين (168 إلى 296 هـ/776-908م)، وقد ذكر المستشرق "**مارسيه**" في مادة "**بنو رستم**": ملوكها وسنوات حكمهم، وصراعاتها الخارجية مع الممالك المحيطة بها[3].

[ب]- في القرن (4 هـ/10م- إلى 6 هـ/12م):

- دولة **بني زيري**[4]: ورد ذكر هذه الدولة في عدة مواد: كمادة "بنو زيري" و"المعز" وغيرهما:

ففي مادة "**بنو زيري**": ذكر المستشرق الفرنسي "**مارسيه**" أنها أسرة استقر لها الحكم في المغرب الأوسط من نواحي الجزائر وتونس حاليا، وذكر الملوك الذين تتابعوا على حكمها، ومن أشهرهم: باديس بن المنصور، وابنه المعز بن باديس، وبعدهما: تميم ويحيى وغيرهم (385 إلى 509 هـ/984-1116م)[5].

كما أشار "**مارسيه**" في مادة "**صنهاجة**": إلى انتساب ملوك "بني زيزي" إلى قبيلة صنهاجة الكبرى[6].

[ج]- في القرن (5 هـ/11م- إلى 6 هـ/12م):

- الدولة **الحمادية** أو دولة **بني حماد**[7]: ورد ذكر هذه الدولة في عدة مواد: كمادة "بنو حماد" و"صنهاجة" وغيرهما: انفصلت هذه الإمارة عن بني زيري، وكان مقرّ حكمها بالقلعة في ولاية المسيلة حاليا، تنتسب إلى مؤسسها "حماد بن بلكين" الذي حكم بين (405-419 هـ)[8].

والملاحظ: أنّ ما قدّمه المستشرقون في المواد السابقة واللاحقة حول تاريخ الجزائر القديم ودولها: كان في الغالب موافقا لِما جاء في المصادر التاريخية القديمة كتاريخ ابن خلدون وغيره مما أحلت عليه في الهامش، لكن

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 2878/9-2882.

[2] ينظر في أخبارها: تاريخ ابن خلدون، 147/6 و159. تاريخ الجزائر القديم والحديث، مبارك الميلي، 63/2-65. موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص200.

[3] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 5144/16-5148.

[4] أخبارها في: تاريخ ابن خلدون، 205/6-210. المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل بن علي، 131/2-132. تاريخ الجزائر القديم والحديث، مبارك الميلي، 160/2-162.

[5] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 5408/17-5410.

[6] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 6644/21.

[7] ينظر في أخبارها: تاريخ ابن خلدون، 227/6. موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص241.

[8] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 6644/21. ومادة "بنو حماد": 4288/14.

يختلف الأمر عندما ينتقلون إلى الكلام عن تاريخ الجزائر قبيل وأثناء الاستعمار الفرنسي؛ حيث نلمح التحيّز لتبرير المواقف الاستعمارية الاستدمارية، كما سبق في مادة "الجزائر" في الجزئية الأولى من هذا الفرع، وكما سيأتي في ترجمة الداي حسين والأمير عبد القادر.

لكن رغم أنّ الرواية التي يقدّمها المستشرقون الفرنسيون حول التاريخ القديم في "الدائرة" تحاكي الرواية التاريخية عند المؤرخين العرب والمسلمين، إلاّ أنّنا نلمح أحيانا نوعا من المبالغة و**التضخيم** للنّزاعات والمؤامرات والدسائس التي حيكت لتقوية أو إضعاف سلطانِ حاكمٍ أو أسرةٍ ملَكيّة ما، مع أنّ هذا الأمر لا تخل منه كثير من المماليك القديمة الأوربية وغيرها.

[د]- في القرن (7 هـ/10م- إلى 10 هـ/16م):

- الدولة **الحفصية**[1]: ذكرها المستشرق الفرنسي "**يفر**" في مادة "**بنو حفص**": وهي أسرة بربرية تنتسب إلى أبي حفص من أتباع ابن تومرت، امتدّت مملكتهم في الجزائر وشمال إفريقيا وأقاليم من الصحراء ما بين: (626 إلى 981 هـ/1228-1574م) [2].

[هـ]- القرن (8 هـ إلى 10 هـ):

- دولة **الزيانيين** أو **بني عبد الواد**[3]: ورد ذكر هذه الدولة في عدة مواد: كمادة "بنو زيان" و"أبو زيان" و"أبو حمو" وغيرها:

حيث ذكر المستشرق "**ألفرد بيل**" في مادة "**بنو زيان**": أنها أسرة بربرية من ملوك تلمسان، حكمت المغرب الأوسط؛ من القرن الثالث عشر إلى السادس عشر الميلادي (ق: 13م-16م)، كما ذكر صراع هذه الدولة مع دولة المرينيين بفاس، ثم استرجاع "أبو حمو" الثاني الحكم لهذه الأسرة سنة (760 هـ).

حكم الزيانيون أراضي شاسعة من الجزائر؛ تمتد من تلمسان غربا إلى نواحي قسنطينة شرقا، كما توسعوا جنوبا، واستمرّوا في الحكم إلى غاية القرن العاشر الهجري (10 هـ/16م) [4].

لكن وقع خطأ في هذه المادة، يحتمل أن يكون خطأ مطبعيا، وقد يكون خطأ من المستشرق محرر المادة نفسه: وذلك أنّه ذكر أنّ "أبا حمو" الأول هو الذي أعاد الاعتبار للأسرة في مملكة تلمسان سنة (760 هـ)،

---

[1] ينظر في أخبارها: تاريخ ابن خلدون، 380/6 وما بعدها. تاريخ الجزائر القديم والحديث، مبارك الميلي، 382/2 وما بعدها.

[2] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 4053/13.

[3] ينظر: تاريخ الجزائر القديم والحديث، 440/2 وما بعدها. موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، ص241.

[4] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 5378/17-5380.

في حين أنّ "أبا حمو" الثاني هو الذي حكم في هذه المرحلة، واسترجع تلمسان من سلطة المرينيين[1]، أما "أبو حمو الأول" فحكمها قبل سقوطها أصلا، وهو ما ورد في "الموسوعة" نفسها في مواضع أخرى.

كما ذُكر شيء من تاريخ الدولة الزيانية في ترجمة بعض ملوكها: كأبي زيان الأول والثاني، وأبي حمو، وأبي تاشفين، وستأتي الإشارة إلى ترجمتهم في الفرع الثالث الخاص بالأعلام.

2)- إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر: تحدّث المستشرق الفرنسي "**لو تورنو**" في مادة "**حكومة**": مطوّلا عن الهيكل التنظيمي للحكومة الفرنسية في الجزائر، وعلاقتها بالحكومة المركزية في باريس، واعتمادها لنظام الحاكم العام، ثم الوزير، ثم إعادة نظام الحاكم العام ثانية، كما تطرّق إلى بعض الطرائق السياسية التي تسعى إلى إخضاع السكان الجزائريين الأصليين.

وحاول كغيره من المستشرقين الفرنسيين إظهار الحكومة الفرنسية في أسمى مقامات العدالة والنزاهة، وأنّها كانت تسعى إلى إعطاء الحقوق السياسية والاجتماعية للجزائريين المسلمين.

مع ذلك يتراجع أحيانا ويقرّ بأنّ نظام الحكومة الفرنسية جعل «الجزائريين ينـــزلون إلى مرتبة ثانوية دنيا، بالرغم من مطالبتهم بحقوقهم، وخاصة منذ سنة (1936م) وما بعدها» كما قال[2].

غير أنّ تقييده هذا النزول بما بعد هذه السنة لا يستقيم، بل إنّ هذا النزول ما زال مستمرا منذ سيطر الاستعمار الفرنسي على أرض الجزائر، وقمع شعبها الأصلي، وأعلى دائما شأن المستعمر والمعمّر.

3)- القبائل العربية والبربرية في الجزائر: ورد ذكر بعض القبائل التي تنتشر في ربوع الجزائر قديما وحديثا في جملة من مواد "دائرة المعارف" ومن ذلك:

[أ]- قبيلة صنهاجة: في مادة "**صنهاجة**": ذكر المستشرق الفرنسي "**مارسيه**" نسبَ هذه القبيلة من قبائل البربر وأماكن تواجدها، والأسر الحاكمة التي تنتسب إليها، وحكم ملوكها أقاليم واسعة في شمال إفريقيا وجنوبا في الصحراء، خاصة ما بين (ق: 5-6 هـــ/ 10-11م)[3].

[ب]- قبيلة رياح: ذكرها المستشرق الفرنسي "**مارسيه**" في مادة "**رياح**" وهي قبيلة عربية من بني هلال نزحت من مصر في منتصف القرن الخامس الهجري (ق: 5 هـــ)، وانتشروا في مناطق واسعة من الجزائر، وكانت لهم معارك وتحالفات مع الممالك القائمة شمال إفريقيا[4].

[ج]- قبيلة زناتة: تحدث المستشرق "كاراده فو" في مادة "**زناتة**": عن هذه القبيلة من قبائل البربر الكبرى في المغرب الأوسط وشمال إفريقيا، وذكر أماكن تواجدها في شمال الجزائر وصحرائها[5].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، إص1، 318/1. مادة "أبو تاشفين"، ومادة "أبو حمو": 328/1-329.

[2] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 4200/13-4202.

[3] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 6644/21. وللتوسع ينظر: تاريخ الجزائر، لمبارك الميلي، 157/2 وما بعدها.

[4] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 5227/17.

[5] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 5332/17.

[د]– أمّا في مادة "**شرفا**" فذكر المستشرق الفرنسي "**ليفي بروفنسال**": أنساب الأشراف الذي ينسبون إلى الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم، وركّز على أشراف مراكش والأندلس والجزائر، كما أورد جملة من الكتب المؤلفة في أنساب الأشراف، منها كتاب: "التحقيق في النسب الوثيق" للعشماوي: الذي قال بأنّه خصّه بالشرفاء الذين استقروا في الجزائر[1].

4)- من **الجوانب الثقافية والدينية في الجزائر**: كما نجد في موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية" ذِكر المستشرقين لِجملة من اللمحات الثقافية والدينية التي كانت سائدة في الجزائر، ومن ذلك:

[أ]– ما ورد في مادة "**المالكية**": حيث ذكر المستشرق "**كوتارت**": الأماكن التي ينتشر فيها المذهب المالكي ومنها: الجزائر، كما ذكر الدّول التي دعمت انتشار المذهب في شمال إفريقيا والجزائر[2].

[ب]– أمّا في مادة "**الزاوية**" فذكر "بروفنسال": بعض الزوايا والمدارس الدينية التي كانت فاعلة في تحفيظ القرآن وتلقين العلوم المختلفة في المغرب والأندلس، ومنها **زاوية ابن مرزوق** التلمساني (ت: 781 هـ): بالجزائر في القرن الثامن (ق: 8 هـ)[3].

[ج]– وفي مادة "**جريدة**": نجد أسماء بعض الجرائد التي كانت تصدر في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي[4].

الفرع الثالث: حول الأعلام الجزائريين

كما نقف في موسوعة "دائرة المعارف" على جملة من المواد بأسماء أعلام جزائريين من: العلماء والأدباء والملوك والأعيان ونحوهم، حرّرها مستشرقون فرنسيون وآخرون غيرهم، كما يتبيّن من السياق الآتي:

أولا- في تراجم العلماء والأدباء الجزائريين:

1)– في مادة "**الونشريسي**": وهي نسبة إلى منطقة الونشريس الجبلية جنوب وادي الشلف [ولاية تيسمسيلت اليوم]، ذكر فيها المستشرق الفرنسي "**بروفنسال**" علَمَين:

= **الأول: أبو العباس** أحمد بن يحيى **الونشريسي** التلمساني[5]: الفقيه المشهور صاحب "المعيار المعرب": ولد بتلمسان ودرس بها على "ابن مرزوق" وغيره، ثم استقر بفاس وتوفي بها سنة: (914 هـ/ 1508م) وذكر له مؤلفات أخرى.

ومن الإضافات الهامة التي نجدها في التعريف بهذا العَلم مما قد لا نجدها في كتب التراجم القديمة والحديثة، ما ذكره المستشرق "بروفنسال" عن **ترجمة** جزء من الكتاب للفرنسية؛ حيث بيّن أنّ المستشرق "**أمار**-Amar": نشر ترجمة لِجانب من كتاب "المعيار المعرب" في باريس سنة (1908م)[1].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 6169/20-6173.

[2] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 8990/29.

[3] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 5241/17.

[4] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 2737/9-2738 و2773.

[5] ترجمته في: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، 135. شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، 397/1.

= **والثاني**: أبو محمد [عبد الواحد] **بن أحمد الونشريسي**[2]: فقيه وقاضٍ، توفي بفاس سنة: (955 هـ/ 1540م)، وهو ابن السابق[3].

*** تعقيبات على هذه المادة**: من خلال الترجمتين السابقتين في مادة "الونشريسي" أنبّه على أمرين:

الأول: ما أثبتُّه هنا هو الصواب في اسم الونشريسي الابن، لكن الذي ورد في الموسوعة أنّ اسمه: "**عبد الوهاب** أبو محمد"، وهذا ما لم أجده في جميع مصادر ترجمته التي وقفت عليها؛ فكلهم يذكر أنّ اسمه: عبد الواحد، فلعله خطأ مطبعي، أو غلط وقع عند الترجمة من الأصل الأجنبي[4] إلى العربية.

والثاني: صحيح أنّه اشتهر بلقب الونشريسي هذا العلمان العالمان، لكن هذا لا يعني أنّهما تفردّا بهذا اللقب؛ بل هناك علماء جزائريون آخرون عرفوا بهذه النسبة وإن كان عددهم قليلا، فمنهم: يونس بن عطية التجيني الونشريسي الفقيه والقاضي المتوفى (816 هـ)، والفقيه: سحنون بن عثمان المداوي الونشريسي المتوفى سنة (955 هـ) وغيرهما[5].

2)– وهناك **مواد في تراجم العلماء الجزائريين كتبها غير المستشرقون الفرنسيين**: وهي كالآتي:

[أ]– ترجم المستشرق الألماني "**بروكلمان**" في مادة "**الأخضري**": للإمام والفقيه الجزائري:

– أبو يزيد **عبد الرحمن** بن محمد الصغير بن محمد بن عامر **الأخضري**[6]، ولد في بنطيوس ببسكرة سنة: (918 هـ/1512م)، ووفاته بها عام: (983 هـ/1575م)، له عدّة مؤلفات ومنظومات[7].

لكن هناك ملاحظات وتعقيبات على ما ذكره في هذه الترجمة:

– فقد قال: "لا نعرف شيئا عن حياته": ولم يذكر تاريخ مولده ووفاته، واكتفى بسرد مؤلفاته المطبوعة، وفاتته معلومات كثيرة عن هذا الإمام العلَم في مصادر لم تكن بين يديه ربّما أو غفل عنها، والتي يمكن أن نعرف عنه من خلالها: تاريخ مولده ووفاته –وإن كان فيهما خلاف–، وموطنه، وشيئا من إنجازاته، وشيوخه وتلاميذه وغيرها، وقد أحلت على بعضها في الهامش.

– لم يضبط اسمه واسم أبيه وجدّه جيدا: فجعل: اسمه: الصدر: واسم أبيه: عبد الرحمن، وإنّما اسمه: عبد الرحمن، واسم أبيه: محمد الصغير.

---

[1] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 10171/32.

[2] ترجمته في: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 309. الأعلام، الزركلي، 174/4. معجم أعلام الجزائر، نويهض، ص345.

[3] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 10171/32–10172.

[4] وقد راجعت النسخة الأجنبية التي عندي، وهي طبعة جديدة؛ فوجدت أنّ نص مادة "الونشريسي" والمستشرق المحرّر لها قد تغيرا في هذه الطبعة، واكتفى بترجمة الونشريسي الأب فقط، ينظر: The Encyclopidia of Islam, by orientalists, 11/139.

[5] ينظر: معجم أعلام الجزائر، نويهض، ص345–346.

[6] ترجمته في: شجرة النور الزكية، مخلوف، 412/1. الأعلام، الزركلي، 331/3. معجم أعلام الجزائر، نويهض، ص14 وغيرها.

[7] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 514/1.

أمّا الصدر (اختصار: صدر الدين) فهو لقب كما ذكر "كحالة"[1]، وربما يكون خطأ مطبعيا، أو خطأ من المترجم عند نقله عن الأصل الأعجمي.

[ب]– كما ترجم "**بروكلمان**" في مادة "**الثعالبي**": لثلاثة أعلام بهذه النسبة: واحد منهم جزائري، وهو:

– **عبد الرحمن** بن محمد مخلوف **الثعالبي**[2]: الإمام المفسّر، ولد في الجزائر: (788 هـ/1386م): وتوفي في دمشق: (875/ 1468م)، له مؤلفات أشهرها: تفسيره "الجواهر الحسان".

ولعلّ من أهمّ الإضافات التي تقدّمها ترجمة المستشرق "**بروكلمان**" لهذا العلم؛ هو ذكره لجملة من مخطوطات الكتاب في: باريس، والإسكوريال–بإسبانيا، ومكتبة القرويين بفاس، وفي الجزائر وغيرها[3].

3)– وهناك تراجم كتبها المؤرخ الجزائري **ابن شنب** في "الموسوعة" لأعلام جزائريين، منها:

[أ]– في مادة "**ابن معطي**": ترجم "**ابن شنب**" للعالم اللغوي:

– زين الدين أبو الحسين **بن معطي**[4]: مولده بنواحي بجاية سنة: (564 هـ/1168م)؛ درس النحو والفقه في الجزائر على: الجزولي وغيره، رحل إلى دمشق، ثم استقرّ بالقاهرة مدرسا النحو والأدب، إلى أن توفي بها سنة (628 هـ/1231م)، وله عدة مؤلفات أشهرها: "الدرة الألفية في علم العربية": أو "ألفية ابن معطي"، ألّفها بدمشق أو بالقاهرة، ولها طبعة أشرف عليها المستشرق "تسترشتين" عام (1900م) [5].

[ب]– وفي مادة "**السنوسي**": ذكر "**ابن شنب**" علَمين بهذا اللقب:

الأول: هو أبو عبد الله **محمد** بن يوسف السنوسي **التلمساني**[6]: فقيه ومتكلم، مولده بتلمسان ووفاته بِها سنة: (895 هـ/1490م)؛ درس على: ابن مرزوق والثعالبي وغيرهما، من أشهر مؤلفاته: "أم البراهين" في العقيدة، ذكر المؤرخ الجزائري "**محمد بن شنب**" لهذا الكتاب عدة ترجمات إلى اللغات الأجنبية من بينها: ترجمة "لو سياتي" إلى الفرنسية طبعت بالجزائر سنة (1896م)، وترجمة "دلفن" وغيرهما[7].

والثاني: محمد بن علي السنوسي **الإدريسي**[8]: ولد بنواحي مستغانم سنة: (1206 هـ/1791م)؛ وتوفي عام: (1276 هـ/1859م) بالمغرب[9].

---

[1] ينظر: معجم المؤلفين، 187/5.

[2] ترجمته في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، 152/4. نيل الابتهاج، التنبكتي، ص257. معجم المؤلفين، كحالة، 192/5.

[3] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 2574/8.

[4] ترجمته في: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 2831/6. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 324/22. الأعلام، الزركلي، 155/8.

[5] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 280/1.

[6] ترجمته في: نيل الابتهاج، التنبكتي، ص563. فهرس الفهارس، الكتاني، 998/2. معجم المؤلفين، كحالة، 132/12.

[7] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 5908/19.

[8] ترجمته في: شجرة النور الزكية، مخلوف، 412/1. أعلام الزركلي، 299/6. معجم أعلام الجزائر، نويهض، ص179.

[9] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 5911/19.

* **تنبيهات حول التراجم السابقة:** يمكن أن نلمح من التراجم السابقة التي قدّمها المستشرقون للعلماء الجزائريين جملة من **الملاحظات** الهامة؛ تتعلّق **بمؤلفات** هؤلاء الأعلام خاصة، وهي كالآتي:

- كثيرا ما يورِد المستشرقون الطبعات القديمة التي أشرف عليها زملاؤهم في القرنين (18 و19م).
- كما نقف على جملة من مخطوطات المؤلفات الجزائرية، وأماكن تواجدها خاصة في أوربا؛ مما قد لا نجده في مصادر أخرى **مثل** ما يتبيّن من المخطوطات التي أوردها بروكلمان لتفسير الثعالبي.
- أضف إلى ذلك إيرادهم أحيانا لترجماتِ مؤلفات هؤلاء العلماء الجزائريين إلى الفرنسية وغيرها، وهو أمر يظهر جانبا من القيمة العلمية لتلك الكتب، وما فتحته من جسور تواصل بين الشرق والغرب.

ثانيا- في تراجم الأمراء والملوك الجزائريين: رتّبتهم حسب تواريخ القرون التي حكموا فيها:

1)- في القرن (8 و10 هـ):

- في مادة "[أبو] زيان": ترجم المستشرق "**كور**" لبعض سلاطين مملكة تلمسان[1]، وهم:

أبو زيان الأول: محمد بن أبي سعيد، وأبو زيان **الثاني:** محمد بن عثمان، وأبو زيان **الثالث:** محمد بن أبي حمو، وهؤلاء الثلاثة حكموا تلمسان ونواحيها في القرن (ق 8 هـ).

أما أبو زيان **الرابع:** فحكمها في أواسط القرن العاشر (ق 10 هـ/ 16م) بين (947-957 هـ): وكان له فضل في هزيمة القوات الإسبانية وطرد عاملها في وهران، وتحالف مع الدولة العثمانية[2].

2)- في القرن (10 هـ/ 16م):

- في مادة "**خير الدين**": ترجم المستشرق "**يفر**" لقائد البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر الميلادي "خير الدين بربروس" وحاكم الجزائر الذي تحالف مع العثمانيين، ومؤسس القوة البحرية الجزائرية آنذاك[3].

وتطرّق في ترجمته إلى المعارك التي خاضها لتوطيد حكمه، كما ذكر حروبه ضد الغزاة الإسبان للسواحل الجزائرية[4].

3)- في القرن (17م):

- في مادة "**حسن بابا**" ترجم المستشرق الفرنسي "**يفر**": لِـ"بابا حسن" باي الجزائر من (1682م) إلى (1683م)[5]، وتحدث عن المعارك التي خاضها مع البحرية الفرنسية آنذاك بقيادة "دوكسن"[6].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، إص1، 341/1-343.

[2] ينظر في أخبارهم: تاريخ ابن خلدون، 167/7 و413. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، 533/1-534. الأعلام، الزركلي، 56/3، 261/6، 118/7، 160/1.

[3] ينظر في ذلك: تاريخ الجزائر القديم والحديث، مبارك الميلي، 413/2. قصة الحضارة، ول ديورانت، 88/26-90. شخصية الجزائر الدولية قبل 1830م، مولود نايت بلقاسم، 61/1-70. سلسلة جهاد شعب الجزائر، العسلي، 19/1-20.

[4] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 4804/15-4808.

[5] ينظر في ذلك: تاريخ الجزائر القديم والحديث، 187/3-188. شخصية الجزائر قبل 1830م، 66/2.

[6] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 3789/12.

4)- في القرن (19م):

- أمّا في مادة "**الحسين بن الحسين**": فترجم فيها المستشرق "**يفر**": لآخر دايات الجزائر: الداي حسين باشا: حكم الجزائر من (1818م) إلى (1830م)[1]: تحدّث المستشرق في ترجمته: عن عدله، وعمله على إعادة الاستقرار في سلطنة الجزائر، ومشاركته في الحروب البحرية في البحر المتوسط، ثم ذكر أحداثَ ما قبل دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر إلى غاية نفي الداي حسين، ثم وفاته بمصر سنة (1837م)[2].

°° **تعقيبات على مادة "الحسين داي"**: يبدو أنّ الطرح الذي قدّمه المستشرق "**يفر**" في هذه المادة من الموسوعة حاول فيه تبرير الحملة الفرنسية على الجزائر (1830م) من خلال ما يلي:

- تقريره أنّ سبب الحملة هو إهانة الداي حسين للقنصل الفرنسي "ديفال" سنة (1827م).
- وأنّ الحكومة الفرنسية حاولت قدر الإمكان الدخول في مفاوضات مع الداي لكنه رفض.
- وأنّ الداي أطلق النار على سفينة فرنسية سنة (1829م) مع أنّها كانت تحمل علم الهدنة.

- كما عرض المستشرق "**يفر**" الحملة الفرنسية بشيء من التمجيد للاستعمار الممزوج؛ بنبرة التبجح والاحتقار للإمكانيات الجزائرية آنذاك على مواجهة الحملة الأوربية؛ مثل قوله: «وظن الجزائريون أنّهم يستطيعون تحدي الدول المسيحية...» ثم تحدّث عن الحملة وما آلت إليه.

- أمّا القضية الكبرى في أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر (1830م): وهي مسألة الديون فلم يعرّج لها المستشرق "يفر" هنا، ولا في مادة "الجزائر" السابق ذكرها في الفرع الثاني، ولا غيره في طرحهم لأسباب الحملة، مع أنّها قضيّة هامة وجوهرية، لكن لما كانت قضيّةً تثبت الظلم الذي تعرّضت له الجزائر من قبل فرنسا، التي رفضت تسديد ديونها التي زادت عن (14) مليون فرنك آنذاك[3]، بل واحتلّت أراضيها بذريعة واهية، نلاحظ بأنّ المستشرقين الفرنسيين اعتمدوا مسلك **الانتقاء الكيفي والتحيز** في عرض الوقائع التاريخية، وهذا مناف لروح الأمانة العلمي والطرح التاريخي النزيه والموضوعي.

° في مادة "**عبد القادر الحسني**": تطرق المستشرق "كوسيه" لترجمة **الأمير عبد القادر** بن محيي الدين الجزائري: ولد بمعسكر (1223 هـ/1808م) ووفاته بدمشق سنة: (1883م)[4].

تطرق في ترجمته إلى: مبايعة القبائل الجزائرية للأمير عبد القادر في نوفمبر سنة (1832م)، كما حدّد الأقاليم التي كانت تحت سيطرة الأمير، وتعيينه رؤساء على الأقاليم التابعة لإدارته.

---

[1] ينظر في ذلك: تاريخ الجزائر القديم والحديث، 323/3. شخصية الجزائر الدولية قبل 1830، 190/2-244.

[2] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 3825/12-3826.

[3] ينظر: شخصية الجزائر الدولية قبل 1830م، مولود نايت بلقاسم، 201/2-211.

[4] ترجمته في: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق الدمشقي، 883. شجرة النور الزكية، مخلوف، 581/1. الأعلام، الزركلي، 150/6. معجم المؤلفين، كحالة، 304/5.

كما ذكر بعض معاركه ومعاهداته مع فرنسا، ولجوءه إلى المغرب بعد هزيمته، ثم رجوعه إلى الجزائر واستسلامه بعد محاولات عديدة لقيادة المقاومة من جديد، ثم نفيه ووفاته بعد ذلك في دمشق[1].

*** ملاحظات على ما جاء في ترجمة الأمير عبد القادر:** نلاحظ أن المستشرق "كوسيه" لم يكتب المادة بروح المؤرخ المتجرّد للحقيقة العلمية التاريخية بقدر ما حرّرها بروح ميّالة إلى الرواية الفرنسية، ومبرّرة لمواقف الاستعمار والإدارة الفرنسية التوسعية والتعسفية؛ ويمكن أن نلمح ذلك من خلال عدة نقاط أهمها ما يلي:

– حاول المستشرق إظهارَ الاستعمار الفرنسي في موقف المظلوم والمعتدى عليه، بل والذي يسعى إلى المهادنة وإذاعة السلام في الجزائر؛ فيذكر مثلا أنّ فرنسا اعترفت بسلطة الأمير عبد القادر سنة (1934) ومع ذلك لم يرتاحوا من الغارات العسكرية المتكررة؛ أي: من طرف المقاومة الجزائرية، حيث يقول: «فهم يزاولون [أي: الفرنسيون] الشدة في المدن التي في حوزتهم، ولكن جنودهم كانت تتعرض في نفس الوقت لغارات متكررة»[2].

وفي خضمّ ذلك يوعز للقارئ بسلمية الموقف الفرنسي فيذكر: بأنّ فرنسا حاولت تأمين جنودها من خلال المفاوضات التي تكلّلت بمعاهدة "تافنا" في: ماي (1937م).

– كما يحاول المستشرق أن يظهر الأمير كأنّه هو من تحايل لنقض معاهدة "تافنا" في حين كانت تسعى الإدارة الفرنسية إلى المهادنة والتهدئة حسب قوله.

– كما وصف مقاومة الأمير عبد القادر بعبارات تشوه من صورتها وتقدح في شرعيّتها كعبارة "**طريد القانون**"، وكوصفها بالتمرد في قوله: «وظهر الأمير عبد القادر مرة أخرى في الجزائر عام (1846م) ليقود حركات **التمرد** التي اندلعت في ذلك الوقت في جميع الأرجاء»[3].

– **تنبيه:** وهناك مواد أخرى كتبها مستشرقون غير فرنسيين؛ ترجموا فيها لبعض الأعلام من السلاطين والملوك الذين حكموا أقاليم واسعة من الجزائر في القرن الخامس والثامن، ومن تلك المواد مثلا:

– مادة "**المعز** بن باديس": بين (406 إلى 454 هـ/1016-1062م)[4].

– ومادة "[**أبو**] **تاشفين**": **الأول والثاني**، ومادة "[**أبو**] **حمو**": وكلهم من سلاطين تلمسان في القرن الثامن الهجري: (ق: 8 هـ/ 14م)[5].

الفرع الرابع : حول مدن الجزائر وأقاليمها

---

[1] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 7148/13-7151.

[2] المصدر نفسه، إص3، 7149/13.

[3] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 7150/13.

[4] ينظر: المصدر نفسه، إص3، 9459/30-9462.

[5] ينظر: المصدر نفسه، إص1، 316/1-318. محرّر المادة هو: المستشرق الدنماركي: **بول** فرانتس.

– أما محرر مادة "أبو حمو" في "دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 328/1" فهو: المستشرق الهولندي: **جوينبل**.

نجد في الموسوعة الاستشراقية موادًّا خاصة بأقاليم وولايات جزائرية، عرّف المستشرقون بمواقعها وشيء من تاريخها، وحتى القبائل واللغات السائدة فيها؛ **مثل** مواد: "الجزائر"، "بجاية"، و"بشار"، "الونشريس" وغيرها، لكن أكتفي هنا بذكر مادتين اثنتين من باب الاختصار، وهما:

[1]- في مادة "**أدرار**": عرّف المستشرق الفرنسي "**يفر**" بهذه المنطقة الجزائرية؛ فذكر[1]:

- الموقع الجغرافي لها؛ وما يحدّها من كافة الأنحاء آنذاك إبان الاستعمار الفرنسي.
- وذكر بدقة تضاريس المنطقة المختلفة من هضاب وجبال ونحوها.
- وأشار إلى بعض البعثات الاستكشافية الفرنسية والإسبانية للمنطقة.
- كما تطرّق إلى النشاط الزراعي والتجاري لسكان المنطقة من الجزائريين.
- وأشار إلى تعداد سكانها وعرقياتهم ونحو ذلك.

[2]- وفي مادة "**الجزائر**" عرّف المستشرق "**يفر**" بها على سبيل التفصيل؛ حيث جاء فيها:

- بيان الموقع الجغرافي للجزائر وحدودها.
- كما بيّن تضاريسها المختلفة من: الجبال، الأنهار والوديان، والسهول، الهضاب، والغطاء النباتي في مختلف الأقاليم، وحتى نوعية التربة والأقاليم المناخية فيها.

فنجده يتحدث عن مناخ بعض الأماكن وطبيعتها بلغة العالم الجغرافي الباحث والمستكشف أحيانا، وأحيانا أخرى يتكلم بلهجة المستعمر الذي يستكشفها لأغراض خاصة استيطانية أو اقتصادية؛ كما في قوله: «وإقليم الهضاب بأحواله هذه **ليس صالحا لأن يستعمره الأوربيون**، أو حتى لإقامة المحلات الوطنية، وهو إقليم صالح بصفة خاصة لتربية الماشية، وإن كانت قلة الماء تقف في سبيل تربيتها على نطاق واسع **!**»[2]؛ وهذه **توصية** من المؤسّسة **الاستشراقية** للمؤسسة **الاستعمارية**؛ توضّح بجلاء **الخدمات العلمية** التي كان **يقّدمها المستشرقون** الفرنسيون للاستعمار.

وهذا الأمر هو حقيقة تاريخية سجّلها غير واحد من الباحثين في تاريخ الاستشراق عامة وأهدافه الاستعمارية، وهو ما عبّر عنه الأستاذ محمد عبد الله الشرقاوي بقول: «كان الاستشراق بمثابة الدليل للاستعمار في ربوع العالم الإسلامي؛ بغرض فرض السيطرة الغربية عليه وإخضاعه»[3].

كما أنّ المادة العلمية المقدّمة في هذه المبحث من الموسوعة؛ تشير إلى عمق البحث الجغرافي والتاريخي والاجتماعي الذي قام به المستشرقون الفرنسيون حول البلدان الشرقية عامة والجزائر خاصة؛ وهو نتاج جهود متواصلة من طرف الحركة الاستشراقية، وسنوات طويلة من البحث الموسّع لمعرفة كلّ الحيثيات التي تعرّف المستعمر بالأرض والشعوب التي يستعمرها.

---

[1] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 533/1-535.

[2] دائرة المعارف الإسلامية، إص3، 2821/9.

[3] الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، ص29. وينظر: الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، السباعي، ص22.

– وتحدّث عن تاريخ الجزائر القديم والحديث، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل في الفرع الأول.

[3]– تنبيه: هناك مواد أخرى تعرّف بأقاليم وولايات جزائرية لا يسع المقام لبسطها، منها على سبيل المثال: مواد: "بجاية"، "أوراس"، و"الونشريس"[1]...

▪ خاتمة:

بعد هذا العرض حول ما جاء في موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية" عن تاريخ الجزائر وأعلامها أُسجّل النتائج التالية:

1– نقف في "دائرة المعارف الإسلامية" التي كتبها المستشرقون بحسب الترجمة العربية (طبعة الشارقة: 1998م) على أكثر من ثلاثين (30) مادّة؛ في: تاريخ الجزائر القديم والحديث، وأقاليمها وجغرافيّتها، وأعلامها من العلماء والأدباء والأمراء، وكذا القبائل واللغات، وحتّى جوانبَ من الثقافات السائدة فيها.

2– حرّر هذه الموادّ أكثر من اثني عشر كاتبا؛ جلّهم مستشرقون فرنسيون، وقليل منهم مستشرقون غير فرنسيين كالألماني بروكلمان، أو كتّاب شرقيّون كالأستاذ المؤرخ الجزائري "ابن شنب"، لكن لم تُعهد إليه موادّ هامة جدًّا حول أعلام الجزائر وتاريخها، بل استأثر بها المستشرقون الفرنسيون، لأنّ الموسوعة إنّما تعبّر عن آراء المستشرقين.

3– ما حرّره المستشرقون الفرنسيون حول تاريخ الجزائر القديم يُوافق غالبا ما جاء في المصادر العربية والإسلامية، لكن عندما يكتبون عن التاريخ الحديث قبيل وبعد الاستعمار الفرنسي للجزائر تختلّ لديهم موازين الطرح العلمي الرصين المنصف، فنلمح **التحيّز** و**الانتقاء الكيفي** في معالجة قضية أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر سنة (1830م)، وتغليب جانب التبرير للأعمال الاستعمارية وأغراضه التسلّطية؛ كما في كتابات "يفر" و"إمريت" في مادة "الجزائر" ومادة "الحسين" داي وغيرها.

4– احتوت بعض الموادّ التي ترجمت للعلماء الجزائريين؛ على معلومات هامة ونادرة حول: بعض مخطوطات المؤلفات الجزائرية وأماكن تواجدها في أوربا وغيرها، والطبعات التي نشرها المستشرقون، وكذا ترجمات المستشرقين لِمؤلّفات جزائرية إلى الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية؛ وهو أمر يعكس جانبا من جسور التواصل الثقافي بين التراث الجزائري والغربي.

5– أمّا على مستوى التدقيق الجغرافي في وصف الأقاليم الجزائرية، فهي وإن كانت تقدّم مادة علميّة هامّة للدارس في ذلك الموضوع؛ إلاّ أنّها تضمّنت بعض المعلومات والتوصيات: التي تعكس بجلاء جانبا من الخدمات التوجيهية التي كانت تقدّمها المؤسّسة الاستشراقية الفرنسية للمؤسسة الاستعمارية في الجزائر زمن الاحتلال.

6– تضمّنت بعض المواد التي تحدّثت عن حقبة الاستعمار في الجزائر مغالطات حول الأمير عبد القادر الجزائري وغيره من الأعلام الذي قاوموا الاستعمار؛ بغية تشويه صورتهم المضيئة عند القارئ الأوربي وحتى

[1] ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، إص1، 462/1، 350/3-354.

العربي غير المطلع على الحقائق التاريخية، في مقابل إظهار الاستدمار الفرنسي في ثوب التسامح والعدل والمساواة.

7- **أوصي** بالتوسّع في دراسة ما جاء في الموسوعة الاستشراقية "دائرة المعارف الإسلامية" حول: التاريخ الجزائري دراسة تحليلية نقدية؛ من طرف المتخصّصين في التاريخ ضمن مذكرات الماستر وحتّى الدكتوراه.

وذلك بالنسبة للترجمة العربية وحتى الأجنبية، لأنّ بينهما اختلافات كثيرة، حيث كان المستشرقون يعدّلون مضامين الموادّ في كلّ إصدار جديد، بينما لم تواكب الطبعة العربية كلّ تلك التعديلات.

والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

▪ قائمة المصادر والمراجع:

1. الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، محمّد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية-القاهرة، 1989م.
2. الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، مصطفى السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي-دمشق، دت.
3. الأعـــلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين-بيروت، ط7: 1986م.
4. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2: 1988/1408م.
5. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب -الجزائر، مكبة النهضة الجزائرية - الجزائر/ بيروت، 1986/1964م.
6. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار الدمشقي، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط 2: 1414هـــ- 1993م.
7. دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الأول)، مجموعة من المستشرقين، ترجمة: أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة-بيروت، 1933م.
8. دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الثالث)، المسماة: "موجز دائرة المعارف الإسلامية"، مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية، ط1: 1418هـــ- 1998م.
9. سلسلة جهاد شعب الجزائر، بسام العسلي، دار النفائس، 1406هـــ-1986م.
10. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1: 1402هـــ-1982م.

11. شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- لبنان، ط1: 1424هـ-2003م.
12. شخصية الجزائر الدولية قبل سنة 1830م، مولود قاسم نايت بلقاسم، دار البعث -قسنطينة، ط1: 1405هـ-1985م.
13. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة-بيروت، دت.
14. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عبد الحيّ الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط2: 1982م.
15. قصة الحضارة، ويليام ديورانت، ترجمة زكي نجيب وآخرين، دار الجيل-بيروت/ تونس، 1988م.
16. المختصر في أخبار البشر، عماد الدين إسماعيل بن علي، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، دت.
17. المستشرقون، نجيب العقيقي، دار المعارف-القاهرة، ط3: 1964م.
18. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية- بيروت، ط2: 1400هـ-1980م.
19. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، شهاب الدين ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1: 1414هـ-1993م.
20. معجم المؤلفين -تراجم مصنفي الكتب العربية-، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: 1414هـ-1993م.
21. موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري، مكتبة الملك فهد- الرياض، ط1: 1996م.
22. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين-بيروت، ط3: 1993م.
23. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تحقيق علي الزواري/ محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1: 1988م.
24. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي السوداني، تحقيق عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب- طرابلس/ليبيا، ط2: 2000م.
25. The Encyclopidia of Islam, prepared by a number of leading orientalists, new edition, Leiden - E.J.Brill, 1991-1997.